لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

الجزء ٥ من السنة ٢ عن ذي القعدة وذي الحجة ١٣٣٠ — تشرين الثاني ١٩١٢

نبذة

(من عادات العراقيين المسلمين)

١ كلمة في عاداتهم

Pratiques et Superstitions religieuses chez les Musulmans de Mésopotamie.

العراقيون من اسرع الناس الى التقليد، واكثرهم انهماكاً بكل شيء جديد، واشدهم استمساكاً بعاداتهم وآدابهم واخلاقهم. ولا ابالغ اذا قلت ان ليس من قوة موجودة فوق الارض « غير الله » قادرة على تغييرها او ابدالها بأحسن منها. سرح طائر نظرك في ارجاء العراق وانعم النظر في احوال قطانه وعاداتهم وتفقد شؤونهم وحركاتهم وسكناتهم، وراقب احتفالاتهم ومجتمعاتهم، وتدبر مسامراتهم ومحادثاتهم، وانقدها نقد الصيرفي الماهر للدرهم والدينار. تجدها لأول وهلة لا تختلف كثيراً عما كان عليه آباؤهم في سالف القرون، بل لتجدن اطوارهم وعاداتهم التي هم عليها الآن تنطبق تمام الانطباق على وصف الباحثين والأثريين والسياح لسكان هذه البلاد قبل مئات من السنين، وانك لا ترى فرقاً كبيراً بينهم وبين اسلافهم سواء كان في العادات او الآداب او الاخلاق اذ ان هذه البلاد قد

استعمرتها امم عديدة واحتلتها دول كبيرة فلم تؤثر فيهم كثرة اختلاطهم بالامم والشعوب، لابل لم تغير شيئاً من عاداتهم اللهم الا بعض امور طفيفة لايعتد بها لعدم شمولها جميع قطان القطر العراقي وهو امر يدلك على شدة تمسكهم بها ويثبت لك ذلك.

بيد انك بينما تراهم شديدي التمسك بتلك العادات ضارة كانت ام نافعة؟ مخالفة لآداب الديانات ام موافقة لها، تجدهم اسرع الناس تبدلاً وتقليداً للامم في كل شيء غريب في ازيائهم وقيامهم وقعودهم واكلهم وشربهم. ويظهر ذلك لكل من جاء بغداد قبل عشر سنوات ولاحظ ما كان عليه اهلوها من السذاجة والبداوة ثم غادرها وقدمها ثانية رآها اليوم قد لبست حلة من حلل التمدن، وعلى قطانها من الازياء الغريبة والاطوار العجيبة مالم يكن العراقيون يعرفونه سابقاً وكثيراً ما كانوا يستهجنونها ويقبحون من جرى عليها او استحسنها. ولا ريب انك لو حولت الوجه نحو هذه البلدة قبل اعلان الدستور وتدبرت ازياء العراقيين لوجدت فيهم مميزات فارقة بين اليهودي والمسيحي والمسلم اذ كان لكل علامات اوخصائص تدل عليه. ولو نظرت نظرة في اسواقها الطويلة العريضة وشوارعها وازقتها لما رأيت نصرانياً لابساً البرنيطة الا المستخدمين في الوكالات والمحلات التجارية الكبرى ممن جابوا بلاد اوروبا ونشأوا في احضان أساتذة كلياتها وتغذوا بلبان علومها ومعارفها. ولما رأيت يهودياً لابساً الملابس الافرنجية على ماهو عليه الان الا ماقل وندر، ولما رأيت مسلماً لابساً الطربوش ومتزيياً بالزي التركي اوالافرنجي الا الموظفين في خدمة

الحكومة «١» بل لرأيت اكثرهم ولا اقول كلهم على ما كان عليه اباؤهم متمسكين بالملابس العربية وهي لبس العباءة والعمامة والعقال، فكنت اذا دخلت اسواق بغداد في هاتيك الازمنة تصورت انك في القرون الوسطى وتجلت لك البداوة والسذاجة بأجلى مظاهرها وابهى مناظرها . فلما اعلن الدستور واحتكت الامة العراقية بالنزالة الاوربية سرعان ما قلدوهم في ملبسهم ومأكلهم ومشربهم حتى انك اليوم لتعجب كل العجب من هذا التقليد الغير المنتظر وظهر لك الفرق بين الزمانين ، ولكن هل ظهر الفرق فى عاداتهم واخلاقهم كما ظهر فى ازيائهم وملابسهم؟ كلا، ثم كلا، فان هاتيك العادات قد استحكمت عراها بمرور الزمن وقوة الاستمرار فتوطدت اركانها، وازداد القوم تمسكاً بها مع وجود طبقة من النابغة الحديثة تحاربها بكل قواها وتنشر الفضيلة بين السكان وتبين لهم اضرار هذه العادات المستهجنة التي ربما قضت على البقية الباقية من اخلاقهم النبيلة، وصفاتهم الجليلة فتقذف بهم من حالق الى مهاوي الهلاك والدمار .

انا لا اريد بمقالتي هذه ان احارب عادات العراقيين واندد بالتمسكين بها اذ ان ذلك يحتاج الى وقت غير هذا الوقت ، وقت يعرف فيه الشعب حقيقة الحياة وو ظائفه في هذا المعترك ويعي بل ويتدبر ما يقال له . ومن العبث ان يريد رجل عاجز مثلي القضاء على عادات امة كبيرة، كأمة العراق بمقالة اومقالتين اوثلاث وهي قد استحكمت فيهم منذ عدة قرون

«١» لم يتغير زى العراقيين جميعهم . بل الذين حصل فى لباسهم تغير هم اهل بغداد والبصرة فقط . اما الباقى كأهل كربلاء والنجف، والسماوة، وسامراء، وغيرها من البلاد . فلم يتغير من زيهم شيء البتة . (لغة العرب)

وقوبت شوكتها وغرست في قلوبهم واستفحل شأنها بينهم حتى عدا كثرها في عداد العادات الدينية ولا اغالي اذا قلت انهم يهتمون بها اكثر من اهتمامهم بأمر الدين ولا ريب ان ذلك عبء ثقيل لا اطيق حمله. بل ادع ذلك لعظماء الرجال الذين يعرفون كيف يهذبون اخلاق الشعوب و يجعلونها خالصة نقية من كل شائبة خرافية من حيث لا ندري ولا نشعر. بيد ان الذي اريد ان اسطره على صفحات هذه المجلة الغراء هو ما وقفت على نبذ من عادات العراقيين في افراحهم واحزانهم واحتفالاتهم العمومية والخصوصية وطربهم وانسهم وحدسهم وتخمينهم ليظهر لدى القارئ النبيه ما وصلت اليه حالة سكان العراق من التأخر والانحطاط في تمسكهم بعادات خرافية ومعتقدات ما انزل الله بها من سلطان حتى انهم يضاهون بها برابرة افريقا وقطان منغوليا في خرافاتهم التي قتلت كل شعور واماتت كل احساس وادراك.

٢ عادات اعتقادية

١ ﴿جنبرسوري﴾ «١» — هذه الكلمة محرفة من جهار شنبه سوري، «٢» ومعناها عيد نهار الاربعاء، اذ ان الفرس يزعمون بوجود اربعاء واحد نحس

«١» بالجيم المثلثة الفارسية وزان جعفر وسورى بضم السين وسكون الواو بعدها راء مكسورة وفي الآخر ياء مخففة.

«٢» ومن عادتهم في ذلك اليوم انهم اذا اقبل عليهم صباحه يذهبون قبل طلوع شمسه الى الشط، ويقلمون اظافرهم، ويغسلون وجوههم، ويرمون عن كل شخص منهم جمراً في الماء حتى عن الغائب منهم. ويرمون ايضاً في الشط عن كل واحد منهم ملعقة (خاشوقة) من طبيخ يطبخونه طبخاً خاصاً بذلك اليوم — واسمه عند العجم (رشتة) وعند العامة من العرب (ام السلابيخ) وذلك لان فيه نوعاً من العجين مفصوصاً شبه السلابيخ. واسمه في العربية الفصحى (رشيدية) — ويشيرون برمي الحجر، والطبيخ الى انهم القوا عنهم كل نحوس السنة بتمامها ثم يرجعون الى دورهم طر بين مسرورين وقد يخرج بعضهم في عصر ذلك اليوم الى البر للتنزه ولكنهم اقل من القليل اما ما وصفه الكاتب فهو ينطبق على يوم يسمى عندهم (سنزه بدر) ومعناه (الثالث

وسائر الاربعاوات اربعاوات سعد ولهذا يطربون وينزهون فيه طرداً للنحس والشؤم. وهو اجتماع عام يستحضر فيه آلات الانس والطرب ويختلط فيه الرجال والنساء، ويكون ذلك عصر آخر يوم الاربعاء من صفر في كل سنة فيخرج فيه الاهالي من رجال ونساء وبنات وبنين بالزينة الكاملة الى موقع خارج البلدة محفوف بالازهار والاوراد حيث يكون العشب قد زاد الارض رونقاً ونضارةً وكساها حلة خضراء من حلل الطبيعة البهجة، فلا تسمع في ذلك الوقت الا نغمة عود وغناء مغنٍ وطرب مطرب وهكذا يبقون حتى غروب الشمس فيعودون الى منازلهم فرحين جذلين مستبشرين. وقد علمت ان السبب لهذا الاحتفال الذي جعله العراقيون عادة من عاداتهم المفروض إجراؤها هو اعتقادهم بأن شهر صفر شهر نحوس وويلات تكثر فيه النوائب وتزداد فيه الكوارث والمصائب وكذلك اعتقادهم بأن يوم الاربعاء من انحس الأيام وهو عادة من عادات العرب الاقدمين اخذوها عن الفرس او المجوس فكأنهم بهذا الانس والطرب وهذا الاحتفال الذي يقيمونه كل عام ينزعون من انفسهم رداء الشرور نفاؤلاً. وقد بلغت السخافة ببعض الناس انهم في يوم الاربعاء لا يذهبون الى حمام ولا يحلقون رؤوسهم ولا يغسلون ملابسهم لنحسه ويستدلون على ذلك بان اليوم الذي اخذت فيه الريح الصرصر قوم عاد هو يوم الاربعاء وهو اعتقاد اكثر المنجمين بيد اننا لو حسبنا ان كل يوم تحدث فيه نائبة او كارثة

عشر الى الخارج) ويكون دائماً بعد يوم عيد النوروز (دورة السنة) او التحويل بثلاثة عشر يوماً. ولهذا اطلقوا عليه هذا الاسم ويعرف عند العرب من اهل بغداد (بكسلة دورة السنة اى بعطلتها) (لغة العرب)

نحس لكانت كل الايام منحوسة لانه لايخلو يوم من كارثة وقعت او تقع فيه.

٢ ﴿الصوم الخرساني﴾ «١» — من العادات التي فشت بين العراقيين فشواً كبيراً الصوم الخرساني. وهو صوم من شروق الشمس حتى نصف النهار تصومه كل انثى بلغت الحلم صوماً عن التكلم في هذه المدة واذا احتاجت الى التكلم تكلمت باشارات تدل على مطلوبها ومرادها ويكون ذلك في اول يوم الاحد من شهر شعبان في كل سنة، وقد جاء ذكر هذا الصوم في سورة مريم على لسان السيدة مريم عليها السلام وهو «وقولي اني نذرت للرحمن صوماً فلن اكلم اليوم انسياً» الا ان الدين الاسلامي لم يأمر المتدينين به بوجوب صيامه فهو اذاً بدعة منكرة.

٣ ﴿صوم زكريا﴾ — هو صوم خاص بنساء العراق المسلمات وذلك بان تمسك المرأة نفسها عن الاكل والشرب وكل مايفسد الصوم من شروق الشمس الى الغروب. وعند الغروب يجري احتفال شائق في كل بيت من بيوت المسلمين يجتمع فيه اهل البيت فيمدون الموائد وعليها صنوف الاطعمة والاشربة وكل ماتشتهيه النفس وتلذ لمرآه العين. ويضعون بجانب مائدة الطعام مائدة اخرى في وسطها صحن مملوء «حناء» محاط بأبارق وتُنك «جمع تُنكة وهي الكوز بلسان اهل العراق والكلمة فارسية الاصل بمعناها» على عدد مافي البيت من الانفس فيخصصون بكل ذكر ابريقاً وبكل انثى تُنكة ويحيطونها بشموع ويضعون في افواه الابارقة والتنك باقات الزهور ويكللونها بورق الليمون والبرتقال والياسمين، وعندما تغرب

«١» الخرساني بضم الخاء ضماً غير محكم والبعض يكسرونها يليها راء ساكنة بعدها سين والف يليها نون مكسورة بعدها ياء مشددة نسبة الى الخرس نسبة عامية.

الشمس ويجيء وقت الافطار تجتمع العشيرة على المائدة المشحونة بكل انواع الطعام، وعندها يقرا احد العارفين بأصول القراءة سورة من سور القرآن وتكون على الاغلب سورة مريم برمتها وبعد ذلك يفطرون اولاً على خبز من الشعير وماء البئر وباقات من البكراث والكرفس وبعدها يتناولون مايشتهون «١» وتجري العامة على هذه العادة في الاحد الاول من شهر شعبان من كل سنة .

٤ ﴿ صوم البنات ﴾ — وهو صوم تصومه كل انثى مسلمة بلغت سن الرشد وذلك في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب في كل سنة، وهذه العادة على ما كنت اظن خاصة ببنات الكرخ لاني لم ار لذلك اثراً في جانب الرصافة الا اني قد سمعت من بعض الاصدقاء انها شاملة لجميع صبيات بغداد . وهن يستعددن لهذا الامر قبل شهر او شهرين من شراء الالبسة الفاخرة وادوات الزينة وفي ٢٧ رجب من كل سنة تذهب بنات الكرخ بزينتهن الى مسجد امام بجانب الكرخ يعرف «بامام حبيب العجمي» فيفتحن المسجد ويدخلن الضريح ويطفن حوله من جهاته الاربع وبايديهن الشموع ويترنمن بهذه العبارة «جئنا نزورك ياحبيب العجمي .

«١» بعض النساء يصمن ثلاثة ايام متواليات. واما ماذكره الكاتب بخصوص الابريق للذكور والتكة (والاصح الشربة) للاناث فهذا يكون في عيد دورة السنة (اي النوروز) وله وصف بديع ليس هذا محله .

اما هؤلاء فانهم يشعلون عند الافطار شمعة ويضعونها على حافة البئر . ويأتون بابريق صغير جداً يكون جديداً . ويضعونه ايضاً على حافة البئر . ثم يفطرون . والذين ليس في دارهم بئر يضعون كل ذلك على (صينية) اي (على طبق من نحاس) ويصلون قبل الافطار ركعتين .
(لغة العرب)

شمعة بطولك ياحبيب العجمي» . واما بنات الرصافة فيذهبن على مابلغني من احدهم الى الشيخ الخلاني بالقرب من تربة الشيخ عبد القادر الجيلي . وبعضهن يخرجن الى خارج البلدة الى مسجد الشيخ عمر السهروردي ولم احفظ ترنماتهن لكثرتها واختلاف بعضها عن بعض .

٥ ﴿حادثة الكسوف﴾ — عندما تكسف الشمس او يخسف القمر يصعد اكثر عامة المسلمين الى سطوح دورهم فيطلقون الرصاص في الفضاء ويضربون على الطوس وعلى كل شيء له رنة عالية ودوي مخيف وينشدون في خلال ذلك الموقف هذه الكلمات :

ياحوته يا المنحوته«١»*طلعي قمرنا لعالي*وان كان ماطلعتيه*نضربك بالجاقوجه«٢»

وهم يعتقدون ان منشأ هذا الخسوف والكسوف التقام الحوت للشمس او للقمر فهم بهذا الصراخ والصياح وهذا الدوي يريدون ارهابه لتخليصهما منه وذلك لاعتقادهم بأن في السماء بحراً يسمى «بحر القدرة» وفيه مثل هذا الحوت الكبير الذي يبتلع الشمس والقمر برمتهما، يا للسخافة والحماقة«٣» !

٦ ﴿اطلاق الرصاص في الفضاء﴾ — قد اعتاد العراقيون عادة من اقبح العادات واظنها من عادات الجاهلية التي بقي العراقيون عاكفين عليها كما عكفوا على غيرها من العادات الذميمة المنافية لروح المدنية، والمشوهة لصفات الانسانية، وهي انهم يطلقون الرصاص في الهواء بعد غروب الشمس عند

«١» المنحوته : المنحوسة دلي لغة من يقلب السين تاء . راجع لغة العرب ١ : ٢٥٣

«٢» الجاقوجة بجيمين مثلثتين فارسيتين كلمة فارسية معناها السكين الصغيرة وهي تعريب چاقو

«٣» هذا العمل مخصوص بخسوف القمر فقط . وقد يضرب بعضهم — اذا كسفت الشمس كسوفاً بيناً بحيث يغيب اكثر من نصفها — على الطوس فقط ويقول اهل دجيل

رؤيتهم هلال صفر «١» . وربما يكسرون الاكواز وكل شيء له دوي ويعللون ذلك بان شهر صفر شهر مشؤوم تتوالى فيه الرزايا على العباد فيطلقون بنادقهم لارهابه ولطرد الشرور . ولهم غير ذلك من السخافات كلها من هذا القبيل وكذلك يفعلون في آخر ليلة منه .

٧ ﴿كربة عليها شمعة﴾ ومن عادات العراقيين المتمسكين بها تمسكاً شديداً والتي توارثها الابناء عن الاباء وهؤلاء عن الاجداد هو ان المريض اذا ثقل عليه مرضه واراد اهله معرفة نتيجة المرض من ثقيلة اوخفيفة يأتون بكربة عليها شمعة مشعولة يسيرونها على دجلة «٢» فاذا توارت عن الانظار ولم يصادفها شيء يعيقها عن سيرها او يذهب بضيائها علم ان شفاء المريض محقق لامحالة ! وتباشر اهله بذلك اما اذا صادفها عارض قبل توارتها عن الابصار او انطفأ ضياؤها علم اهل المريض انه ميت لامحالة ! وعندئذ يعلو الصراخ ويزداد العويل والنحيب وربما مات المريض لساعته من كثرة الصراخ ومن يأسه من الشفاء . وهذه التجربة لاتكون الا في ليلة الجمعة .

٨ ﴿القعود في الطرق﴾ قد اعتادت نسوة العراق المسلمات القعود في الطرق ليلة الجمعة قرب الساعة الواحدة والنصف شرقية وذلك ان المرأة

واطرافه عند خسوف القمر وهم يضربون على الطوس عن لسان (الحوت) وهي تكلم القمر بهذا الكلام «حاس حاس ماظل بالجو ناس» . ومعناها : ادن ادن ليس في الجو احد يبصر لك . فيجيبها القمر : لااسمى دك = (دق) الصفر . واسمى دن (اي طنين) (الاجراص) = (الاجراس) . (لغة العرب)

«١» لايطلق احد رصاصاً بل ولايكسر من الاكواز شيئاً عند رؤية هلال صفر البتة بل كل ذلك يكون عند رؤية هلال شهر ربيع الاول . ويضعون في كل كوز يريدون كسره (بارة او قرشاً) ويملؤونه ماء ويكسرونه وذلك تفاؤلاً بكسر الشر . (لغة العرب)

«٢» يهدونها الى الخضر ويضعهم ينذرون ذلك للخضر اذا شافى الله المريض . (لغة العرب)

اذا كان لهـا زوج غائباً وانقطعت عنها اخباره وارادت معرفة ما اذا كان مجيئه قريباً او بعيداً اوما هو عليه من صحة وسقم اوخير وشر أواذا لم يكن زوجها غائباً ولها مريض وارادت معرفة ما اذا كان شفاؤه مرجواً ام لا ، وغير ذلك من معرفة المجهولات تقعد على مفرق ثلاث طرق وتقبض بيدها على ثلاثة أحجار فترمي واحداً منها على الطريق الذي عن يمينها والثاني على الذي عن يسارها والثالث على الجهة القبلية وتقول هذه الكلمات «ياخيرة الدرب غلميني مافي القلب زينة تبينين شينة تبينين» وبعده تقعد صامتة تراقب مايقوله الآتون والذاهبون فاذا سمعت كلاماً منهم تعتقد فيه الخير استبشرت وفرحت واذا كان شراً حزنت واكتأبت وكذلك شأن الجاهلين .

٩ ﴿خيط الحمى﴾ قداعتاد العراقيون عادة تضحك الثكلى وتدل على سخافة في العقول وسذاجة في الافكار وهي ان كل من تعتريه الحمى يأخذ اهلوه خيطاً من القطن ويذهبون به الى باب احد الجوامع في ليلة الجمعة قبل صلاة العشاء فيقبض احدهم على طرف منه والاخر على الطرف الثاني ويمدونه على الباب ليكون بمنزلة مانع الداخل ويبقون كذلك الى ان يخرج المصلون من الصلوة وعند ذلك يقطعه اول الخارجين من الجامع فيعتقد اذذاك اهل المريض ان الحمى قد انقطعت عن مريضهم وانتقلت الى قاطع ذلك الخيط !«١»الى هذا الحد بلغت الخفة والسخافة بالعراقيين وكانوا

«١» اويضعونه فى طريق عام فيقطعه احد المارين به وهذه العادة والتى قبلها من عادات البغداديين اما اهل البلاد الاخرى من العراق فلهم عادات اخرى ليست كهذه وسنذكرها فيما بعد ان شاء الله (لغة العرب)

في ما سلف اساتذة العالم ومهذبي اخلاق الشعوب وهكذا يكون الجهل فانه كقدح السم من شرب منه اودى به «١» .

ابراهيم حلمي

المالبسور

Les Malisores.

١ مدخل البحث

كثر الكلام في هذه الايام عن المالبسور او المالبصور ، واذا اردت ان تعرف من امرهم شيئاً لاتكاد تقع عليه في كتبنا العربية حتى ولا في كتب البلدان او التاريخ ولهذا كتبنا هذه الاسطر ليقف على حقيقتهم من يهمه هذا الامر .

٢ تعريفهم

المالبصور قبيلة من قبائل الارناؤوط او الالبانيين معروفة بشراستها وشدة اخلاقها وتعلقها المفرط بالحرب والصيد والاستقلال والاستبداد واخذ الثار من الاعداء . وبلادهم واقعة في اقصى تركية «٢» اوربة من بعض جهتها الغربية على البحر الادرياتيكي .

٣ عددهم وقبائلهم والويتهم

يبلغ عددهم اليوم ٥١٠٠٠٠ لاغير . فيهم ١٥٤٠٠ مسلم و ٢٢٠ رومياً ارثوذكسياً والباقي اي ٣٥٠٨٨٠ هم نصارى كاثوليك فيكون الثلثان منهم كاثوليكاً والثلث الآخر مسلمين . وهم يقسمون الى عدة افخاذ اوعشائر اشهرها الحطبة والاكلمنتية والكسترانية وهناك غير هذه الافخاذ وهي هذه باسمائها واقسام الويتها وعدد نفوسها :

«١» جميع الحواشي التي على مقالة العادات هي لمدير المجلة

«٢» ابدل بعضهم « تركية » بلفظة « العثمانية » قائلين ان تركية من الالفاظ الخاصة بالترك وهي تنفي وجود سائر العناصر في البلاد ونسوا ان الكل قد يسمى بالجزء من باب التعميم او اطلاق قيد التخصيص .